



الأحد 28 فبراير 2010 02:03 م
كتب: بقلم: الشيخ محمد عبد الله الخطيب

مسئولية كل مؤمن ومؤمنة أمام الله

لحمد لله الذي لا إله إلا هو، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، وعلى آله وصحبه أجمعين..

أخي الحبيب.. أختي الغاضلة هذه رسالتي إليكم، وهي أمانة في أعناقكم وأنتم على نعر من نغور الإسلام، تُحاجون عنه وتبينونه للناس جميعًا، فلا يؤنبن من قبلكم، تشاركون غيركم في هذه المهمة العظيمة التي بدأت بأنبياء الله ورسله عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام، ثم ورثتم وجميع المسلمين عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم هذه الأمانة أضوأ من القمر في ليلة التمام، وأبين من الشمس في وسط النهار، ولا عذر لكم عند الله في إيصال الحق والمشاركة في هذا الشرف وحمل هذه الأمانة.

[1] قضية الإيمان والعمل:

نبدأ بالحديث عن قضية الإيمان، وهي "ليست أمرًا على هامش الوجود يجوز لنا أن نغفله أو نستخف به أو ندعه في زوايا النسيان، كيف وهي أمر يتعلق بوجود الإنسان ومصيره، بل أجد قضية الإيمان هي أعظم مصيرية بالنظر إلى الإنسان" الإيمان والحياة.

كما يجب أن نوقن بأنه لا إيمان بلا عمل؛ فالعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التي تبدأ في هذا اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب "الإيمان ما وفر في القلب وصدقه العمل" ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَأُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 5)

[2] ارتباط الإيمان بالعمل:

فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة بانية، ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح، وجهاد ومجاهدة، وصبر ومصابرة، هذا هو الإيمان الإسلامي، لا يمكن أبدًا أن يظل جامدًا لا حراك فيه، كامنًا لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت.

فأين أنت وأين أنت من هذه الحقيقة التي لا حقيقة سواها؟، إن الإيمان الإسلامي أكثر نفعًا وأطيب ثمرا، فعقيدة الإسلام عقيدة تتسع للروح والمادة، والحق والقوة، والدين والعلم، والدنيا والآخرة، وللحياة بكل أوجهها الصحيحة السامية.

[3] عقيدتنا والانتصارات:

بهذا الإيمان وتلك العقيدة الربانية، انطلق المسلمون يعيدون للعالم صوابها، ولل البشرية رشدها، ويقودونها من طريق الغواية إلى طريق الهداية، ويخلصونها من شياطين الإنس والجن الذين تأمروا عليها.

بهذه العقيدة انطلق الإسلام بحرار المستعبدين من أمم الأرض ويرد إليهم كرامتهم، ويفك الأغلال التي وضعها البشر في أعناق المستضعفين والمستعبدين، فأصبح الناس أحرارًا بالإسلام وفي ظل القرآن العظيم.

بالإسلام انتصر المسلمون على الجراد الزاحف من الشرق المسقى بالنتار، كما انتصروا على الذين قدموا من الغرب «يُريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُنمَّ نوره ولو كره الكافرون» (التوبة: 32).

ومن هنا تبدو قيمة الإيمان المتمثل في الحركة والعمل، والبناء والتعمير، واليقظة، وهو يقود البشرية إلى الله، إنه ليس انكماشًا أو سلبية أو أمانى أو أحلام "ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلي".

أيها الأحباب..

4] المؤمن عزيز قوي لا يخضع للذل ولا يرضى بالصميم

"من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس منا"، ومهما تجمعت السحب، وتكاثرت الغيوم، واكفهرت الأجواء؛ فإن نور الله لا يطفئه أحد، ونور الله قادم فلا ذل ولا إذلال فابدأ بنفسك أولاً ثم ادع غيرك ثانيًا، فإن الله قد ارتهن نفوسنا، بل ارتهن حياتنا كلها بهذا لحق «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْعُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْعَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة : 111)، فالجدُّ الجدُّ فإن وراءك طالبًا حنيئًا طلبه سريعًا سيره، فحدد وجهتك واخلص نيتك واعمل لله دائمًا ودعك من هذا أو ذاك «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: 162-163).

إياك.. إياك.. أن تتناقل إلى الأرض فلقد حذرنا الله من هذا فقال «بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» ﴿٣٨﴾ «إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (التوبة: 38-39)

واعلم بأن الأمم والدول التي تعادي دينك ليست بأقوى من الذين كانوا يعادونه بالأمس، فأين هم الآن؟ لقد صاروا رميمًا وعظامًا نخرة، وأشلاء ممزقة، وقد نسي ذكرهم وبادوا، فتلك مساكنهم وقصورهم خاوية، أما هم ففي ظلمات القبور «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْسِنُ مِنْهُمْ مَّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا» (مریم: 98).

نداء

فتبها أيها المسلم للعمل الصالح وأداء الواجب، والإحسان للناس جميعًا، وحبهم والرفق بهم، واعمل على إرشاد الحائرين وتنبية الغافلين، وردِّ الذين حادوا عن الطريق برفق وحنان، وكن صادقًا مخلصًا في كل عمل تأتيه مهما كان صغيرًا.

ويجب عليك أن توفن بغيثًا ثابتًا لا يترزعزع بأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا رادَّ لغضائه، وأنه سبحانه فيوم السماوات والأرض لا تأخذه سنة ولا نوم.

أخي: اعنصم بالله وحده واحصر آمالك فيه وثق في رحمته، وفي عدله، وفي رعايته للبشرية جميعًا وتطلع إلى رحمته «مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (فاطر: 2).

اذكروا دائمًا قوله تعالى: «يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا» (مریم: 86).

ذكروا دائمًا أن هذا الكون وما فيه في قبضة الله «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» (مریم: 93-95).

لا بد أن تدرك أنك بإيمانك وعقدتكم سيد العالم وإمام الأبرار «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ سَهِيدًا﴾ (البقرة: 134)، واذكروا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: 96).. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* من علماء الأزهر الشريف

<https://www.ikhwanonline.com/article/61084>